

إثنان خير من واحد (1)

أحب أن نتأمل في هذه الليلة في قول الوحي الإلهي في سفر الجامعة "إثنان خير من واحد...لأنه إن وقع أحدهما يقيمه رفيقه. وويل لمن هو وحده إن وقع إذ ليس ثان ليقمه.

ومن هنا جاءت حياة الشركة في الكنيسة وفي العالم كله.

إذ قال الرب منذ بدء الخليقة "ليس جيداً إن يكون آدم وحده، نخلق له معيّنًا نظيره" (تك1)

والسيد المسيح حينما أرسل تلاميذه للخدمة أرسلهم إثنين إثنين. لكي يسند أحدهما الآخر؛ ويعين الآخر، وإن سقط أحدهما يقيمه رفيقه....

وهذه الشركة المقدسة، تقدم لنا أمثلة من الصداقات الروحية،

ومن الثنائيات المشهورة في حياة القديسين:

القديسان مكسيموس ودوماديوس، عاشا معًا، في حياة شركة مقدسة، يعين كل منهما رفيقه، وماتا معًا، في أسبوع واحد... قزمان ودميان، أبرام وجورجي، أباكير ويوحنا...

ثنائية مقدسة، أو شركة مقدسة، حتى في الرهبنة والوحدة.

وهكذا عرفت الرهبنة الكونوبيوم (الحياة المشتركة)، أو الكونونيا

بعض الرهبان كانوا يعيشون معًا، يسندون بعضهم بعضا. أو أب راهب مع تلميذه أو تلاميذه....

ولأنه "ويل لمن هو وحده إن سقط"، لذلك وجد المرشد

كان هو الثاني الذي يحمي من السقوط، أو يقيم الساقط من سقطته. وقيل "الذين بلا مرشد، يسقطون مثل أوراق الشجر". وقيل أيضًا "وعلى فهمك لا تعتمد".

"إثنان خير من واحد": في الأشخاص، وفي الآراء ...

فالذي ينفرد برأيه، عرضه للخطأ وللسقوط. فينبغي أن يضيف إلى تفكيره الرأي الآخر، ولو كان معارضًا له. ومن هنا وجدت المعارضة في الأنظمة الديمقراطية، ووجد النصح والإرشاد في مجال التعليم والتربية، ووجدت الأبوة الروحية والكهنوت في حياة الإنسان مع الله ... لا بد من رأي آخر يضاف إلى رأيك، لتكتسب فائدة من علم الآخرين ومن فهمهم وخبرتهم. فإثنان خير من واحد ...

ونظرة الانسان الى كل أمر من زوايا عديدة، خير من نظرتة اليه من زاوية واحدة. اتساع الأفق أفضل

وقد يقدم الرأي الآخر، نظرة أخرى، من زاوية أخرى، ومن هنا كان العمل الجماعي، وكانت اللجان، وكانت مناقشة الأمور بين الناس، واشباعها بحثًا ودرسًا ...

وقد تكون وحدك، وليس من يناقشك، أو من تستشير، أصبر بعض الوقت، ربما يأتيك فكر آخر، بالتأني ...

سعيد من يضيف إلى فكر البنية فكر الأبوة، وإلى فكر الشباب والشباب فكر الشيخوخة، وإلى فكر العلمانية فكر الكهنوت "فإثنان خير من واحد، والخيط المثلوث لا ينقطع سريعًا".

وعند ما نتكلم عن الفكر الثاني انما نقصد (الذي يقيمه) ... ليس مجرد ثان، انما ثان ليقيم. فهناك من أهلكوا غيرهم.

إيزابل كانت إلى جوار آخاب، تعطيه الرأي الثاني، لإهلاكه. والحية كانت إلى جوار حواء تعطيه رأيًا لهلاكها. وأخيتوفل كان يقدم مشورة للهلاك، حتى صرخ داود وأحباؤه "بدد يارب مشورة أخيتوفل". ورقعه قدمت لإبنها يعقوب مشورة يخدع بها أباه الضريب. وهناك مشورات كثيرة خاطئة. والكتاب يقول "المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة".

فليس كل ثان مفيد، انما الثاني الذي يقيم من يسقط.

رحبعام بن سليمان، وجد أمامه نوعين من هذا الرأي الثاني:

أحدهما لاهلاكه، والآخر ليقمه...الشباب والشيخوخ.

كان رأى الشباب أن يشتد فى معاملة الشعب، ويقول لهم "أبى أدبكم بالسياط، وأنا أؤدبكم بالعقارب" بينما قال له الشيوخ" إن صرت اليوم عبدًا لهذا الشعب، وأحببتهم وخدمتهم، يكونون لك عبيدًا كل الأيام"(1مل 7:12). وللأسف سمع رجعام لرأى الشباب، فضيعه الرأى الثانى....

إذن فلنبحث عن هذا الثانى، الحكيم الروحي، الذي يقيمنا.

قد نجد هذا فى صداقة مخلصه، كصداقة داود ويوناثان..

كلما كانت تحاك مؤامرة ضد داود من شاول، كان يكشفها له يوناثان" لينقذه ويقيمه. فكان يوناثان ثانيًا لداود، يخصه..

ماذا كان سيحدث، لو كان داود وحده، بلا يوناثان؟

وفى تجربة أخرى، ماذا كان سيحدث، لو كان داود واحده بدون إيبجايل التى أنقذته من الإنتقام وإتيان الدماء...

وقد يوحد الثانى فى محيط العائلة: الزوجة أو الأقارب..

"أكيلا وبريسكلا" ثنائى طوبه بولس الرسول وطوب الكنيسة التى فى بيتهما(رو16). سارة، التى، قال الرب لأبينا ابراهيم عنها "اسمع لسارة فى كل ما تقوله لك" والقديسة مونيكا التى كانت لابنها أوغسطينوس"ثانيًا ليقيمه". ودميانه التى أرشدت أباه مرقس لما أنكر الإيمان، وأرجعته إلى الرب، وكانت له ثانيًا ليقيمه. وماكرينا التى كانت ثانيًا لأخيها القديس باسيليوس، ولأخيها القديس غريغورس والأمثلة كثيرة.

راعوث كانت ثانيًا عجيبة، وقفت فى محبة مع حماتها:

قالت لها؛ "لن أتركك. الموت وحده هو الذي يفصل بيني وبينك حيثما ذهبت أذهب، وحيثما بت أبيت. شعبك هو شعبي، وإلهك هو إلهي". ما أعجبه من إخلاص...

بالتبنا نجد هذا الثانى الذي يقيم، فى الأسرة

فى أب حكيم، أو أم تقية، أو أخ مخلص، أو أخت ودودة، أو أي قريب روحي، بحيث يكون جو البيت مساعدًا على الحياة الروحية والتقرب إلى الله...

إذا لم تجد الثانى بين الناس، قد تجده فى الكتب...

وقد يكون الكتاب صديقًا مخلصًا، يعطيك الرأى الصائب والمشورة الحسنة، ويقودك إلى الله، هذا إذا أحسنت اختيار كتبك. لا تكن إذن وحدك، بل ليكن كتابك معك. وويل لمن هو وحده إن سقط، ولم يكن إلى جواره إنجيل، ولا كتاب روحي، ولا سيرة قديس، ولا شئ من أقوال الآباء التى تشعل الحرارة الروحية وتقود إلى التوبة..

وقد تكون الوسائط الروحية هي الرفيق الثانى الذي يقيم.

ويل لمن هو وحده إن وقع، وليس إلى جواره شئ من الوسائط الروحية التى تقيمة، كالصلاة، والتأمل، ومحاسبة النفس، والاعتراف، والتناول، والتدرب الروحية، والصوم، والمطانيات، وجو الخدمة. والأسرار المقدسة.

ولذلك يمكن ان يكون الثانى الذي يقيم هو الكنيسة...

جماعة المؤمنين، أعضاء جسد المسيح، الذين إذا تألم منهم عضو، تألمت معه باقى الأعضاء. وثق أنك طالما كنت مرتبطًا بالكنيسة، فمهما سقطت لا بد أن تقوم بسرعة. لقد سقط الابن الضال، لأنه بعد عن بيت الآب. فلما استيقظ إلى نفسه، رجع إلى بيت أبيه. وهناك وجد الخلاص. كن إذن ملتصقًا بالكنيسة لكي تقيمك.

ربما الثانى الذي يقيمك هو أرواح القديسين والملائكة...

نحن لسنا وحدنا. إن أرواح القديسين ترقب جهادنا، وتتشفع لأجلنا، وتقيمنا. كما إننا محاطون بطغمت من الملائكة "ملائكة الرب حاله حول خائفيه وتجيهم" إنهم ملائكة يحرسوننا ويرشدوننا ويقيمونا من سقطاتنا. مثل الملاك(الساراف) الذي طار بسرعة، وأخذ جمره من على المذبح، ومسح بها فم أشعياء لكي يطهر(أش6).

أنت لست وحدك. الثانى الذي يقيمك هو النعمة..

النعمة العاملة فيك ومعك، لكي تشاء ولكي تسعى...

الثانى الذي معك ليقيمك هو الروح القدس..

الروح القدس الذي يبكتك على خطية، والذي يحثك على الخير ويقويك. فلا تحزن روح الله الذي فيك، ولا تطفئ الروح، ولا تقاوم الروح،
لئلا تقف وحدك ولا يوجد ثان ليقيمك...

بهذا نشعر أيضاً ان المتوحدين لم يكونوا وحدهم.

اسمهم (متوحدين) من جهة عدم عشرتهم للبشر، ولكنهم لم يكونوا وحدهم. كانت معهم نعمة الرب، ومعهم روحه القدوس، ومعهم
أرواح الملائكة والقديسين، ومعهم كثير من وسائط النعمة.

ويل لمن هو وحده ان وقع، اذ ليس ثان ليقيمه.